

روح المعاني

العقاب وفي الآيات مما يقتضي الإيعاظ ما فيها أخرج عبد بن حميد عن يزيد بن الأصم أن رجلا كان ذا بأس وكان من أهل الشام وأن عمر رضي الله تعالى عنه فقده فسأل عنه فقيل له : تتابع في الشراب فدعا عمر كاتبه فقال له : اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله تعالى إليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه إليه حتى تجده صاحبا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول : قد وعدني ربي أن يغفر لي وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددتها على نفسه حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع فلما بلغ عمر توبته قال : هكذا فافعلوا إذا رأيتم أحاكم قد زل زلة فسدوده ووقفوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه .

ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا نزلت على ما قال أبو العالية في الحرث بن قيس السلمي أحد المستهزئين والمراد بالجدال الجدال بالباطل من الطعن في الآيات والقصد إلى إدحاض الحق وإطفاء نور الله لقوله تعالى بعد وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فإنه مذكور تشبيها لحال كفار مكة بكفار الأحزاب من قبل وإلا فالجدال فيها لإيضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها أعظم جهاد في سبيل الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم وقد أخرجه عبد بن حميد عن أبي هريرة مرفوعا : إن جدالا في القرآن كفر إيماء إلى ذلك حيث ذكر فيه جدالا منكرا للتنويع فأشعر أن نوعا منه كفر وضلال ونوعا آخر ليس كذلك .

والتحقيق كما في الكشف أن المجادلة في الشيء تقتضي أن يكون ذلك الشيء إما مشكوكا عند المجادلين أو أحدهما أو منكرا كذلك وأيا ما كان فهو مذموم اللهم إلا إذا كان من موحد لخارج عن الملة أو من محقق لزائغ إلى البدعة فهو محمود بالنسبة إلى أحد الطرفين وأما ما قيل : إن البحث فيها لإيضاح الملتبس ونحوه جدال عنها لا فيها فإن الجدال يتعدى بعن إذا كان للمنع والذب عن الشيء وبفي خلافه كما ذكره الإمام وبالباء أيضا كما في قوله تعالى : وجادلهم بالتي هي أحسن ففيه بحث وفي قوله تعالى : في آيات الله دون فيه الضمير العائد إلى الكتاب دلالة على أن كل آية منه يكفي كفر المجادلة فكيف بمن ينكره كله ويقول فيه ما يقول وفيه أن كل آية منه أنه من الله تعالى الموصوف بتلك الصفات فيدل على شدة شكيمة المجادل في الكفر وأنه جادل في الواضح الذي لا خفاء به ومما ذكر يظهر اتصال الآية بما قبلها وارتباط قوله تعالى : فلا يغرك تقلبهم في البلاد .

- بها أي إذا عملت أن هؤلاء شديداً الشكائم في الكفر قد خسروا الدنيا والآخرة حيث جادلوا في آيات القرآن العزيز العليم وأصروا على ذلك فلا تلتفت لاستدراجهم بتوسعة الرزق عليهم وإمهالهم فإن عاقبتهم الهلاك كما فعل بمن قبلهم من أمثالهم مما أشير إليه بقوله سبحانه : كذبت قبلهم قوم نوح الخ والتقلب الخروج من أرض إلى أخرى والمراد بالبلاد بلاد الشام واليمن فإن الآية في كفار قريش وهم كانوا يتقلبون بالتجارة في هاتيك البلاد ولهم رحلة الشتاء لليمن ورحلة الصيف للشام ولا بأس في إرادة ما يعم ذلك وغيره وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير فلا يغرك بالإدغام مفتوح الراء وهي لغة تميم والفق لغة الحجازين وبدأ يقوم نوح لأنه E على ما في البحر أول رسول في الأرض أو لأنهم أول قوم كذبوا رسولهم وعتوا عتوا شديداً والأحزاب من بعدهم أي